

71

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (15)

الخروج إلى الطائف

بتأليف : أ. عبد الحميد صيد (المقصود)

وسوم : أ. صيد الشافعي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى





بَعْدَ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ ، وَفَكَ الْحِصَارِ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ ، وَعَشِيرَتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، لَمْ يَسْلَمْ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ
أَذَى ، وَكَانَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى ،

وكانت زوجته خديجة رضي الله عنها تخفف عنه
ما يلاقى من تكذيب الكفار ، وإعراضهم عن
دعوته ..

ولكن خديجة رضي الله عنها توفيت ، وتوفي أبو طالب
بعدها بقليل ، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة المنورة
بثلاث سنوات .. وحزن النبي صلى الله عليه وسلم لموتهما ؛ لأن
قريشاً نالت من النبي صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع
فيه في حياة أبي طالب ، لدرجة أن أحد سفهاء قريش
اعترض النبي صلى الله عليه وسلم ، فنثر على رأسه التراب ، ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه
إحدى بناته ، وأخذت تغسل عنه التراب ، وهي تبكي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها :

- « لا تبكي يا بنية ، فإن الله مانع أباك » ..

وكان صلى الله عليه وسلم يقول :

- « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات

أبو طالب » ..

ولمَّا مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ مَرَضَ الْمَوْتِ ،
ذَهَبَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ قَوْمِهِ ، وَقَالُوا :

- يَا أَبَا طَالِبٍ ، إِنَّكَ تَعْلَمُ مَنْزِلَتَكَ مِنَّا ، وَقَدْ
حَضَرَكَ الْمَوْتُ ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ
أَخِيكَ ، فَادْعُهُ ، فَخُذْ لَهُ مِنَّا ، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ ،
لِيَكْفِيَ عَنَّا وَنَكْفِيَ عَنْهُ ، وَلِيَدْعُنَا وَدِينَنَا وَنَدْعُهُ
وَدِينَهُ ، فَبَعَثَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا
جَاءَهُ قَالَ لَهُ :

- يَا بَنَ أَخِي ، هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ ، قَدْ اجْتَمَعُوا
لَكَ ؛ لِيُعْطُوكَ ، وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ ..
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « يَا عَمُّ ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ يُعْطُونِيهَا ، تَمْلِكُونَهَا
الْعَرَبَ ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ » .
فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :

- نَعَمْ وَأَبْيَكَ وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ ..

فقال ﷺ :

« تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِهِ .. »

فصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، وَقَالُوا :

« أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، إِنَّ

أَمْرَكَ لَعَجَبٌ .. »



ثم قالوا لبعضهم :

- والله إنَّ محمداً لنَّ يعطيكم شيئاً مما تريدون ،
فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله
بينكم وبينه .. ثم انصرفوا ، فقال أبو طالب :

- والله يابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططاً .. (أى
أنك لم تتجاوز القدر وتطلب منهم المستحيل) .
فلما قال أبو طالب ذلك ، طمع النبي ﷺ في إسلامه ،
فأخذ يقول له :

- « أى عم ، فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة
يوم القيامة » ..

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ ، على
إسلامه ونطقه الشهادة ، قال :

- يابن أخي ، والله لو لا مخافة السبة عليك وعلى
بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما
قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها
إلا لأسرك بها ..

فلما اقترب الموت من أبي طالب نظر إليه
أخوه العباس ، فلما رآه يحرك شفّتيه ، قال للنبي ﷺ :
- يا بن أخي ، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته
أن يقولها ..

فقال النبي ﷺ :

- « لم أسمع » ..

فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ،
من الأذى ما لم تنله فى حياة عمه ..

وخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف لاجئاً إلى قبيلة
ثقيف يعرض عليهم الإسلام ، ويطلب منهم حمايته
من قومه ، ونصره عليهم ، ومنع أذاهم عنه ..

فلما وصل ﷺ إلى الطائف ، توجه إلى ثلاثة إخوة هم
سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم : عبد ياليل ، ومسعود ،
وحبيب أبناء عمرو بن عمير بن عوف ، فجلس إليهم
رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الله ، ثم

طَلَبَ مِنْهُمْ نَصْرَتَهُ عَلَى نَشْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ ..

فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :

- أَنَا أَمَزَّقُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ ..

وَقَالَ الْآخَرُ :

- أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا غَيْرَكَ لِيُرْسِلَهُ رَسُولًا ؟ !

وَقَالَ الثَّالِثُ :

- وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا ، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ ،

كَمَا تَقُولُ ، فَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطْرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ ،

وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِّمَكَ ..

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ ، وَقَدْ آلَمَهُ عَدَمُ

هُدَايَةِ ثَقِيفٍ إِلَى الْإِسْلَامِ .. وَقَالَ لَهُمْ :

- « إِذْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ ، فَاكْتُمُوا عَنِّي » ..

فَقَدْ كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ خَبْرَ قُدُومِهِ

إِلَى ثَقِيفٍ ، وَرَفَضَهُمْ لَهُ ، فَيَشْجَعُهُمْ ذَلِكَ عَلَى النَّيْلِ

مِنْهُ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَغْرَوْا بِهِ عَبِيدَهُمْ

وَصَبِيَانَهُمْ وَسُفَهَاةَهُمْ يَسْبُونَهُ وَيَقْذِفُونَهُ بِالْحَجَارَةِ ،
حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ ثَقِيفٍ ، فَلَجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِلَى حَائِطِ بُسْتَانِ لُعْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ،
وَرَجَعَ عَنْهُ سُفَهَاةُ ثَقِيفٍ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
تَحْتَ كَرْمَةِ عَنَبٍ يَحْتَمِي بِهَا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ، وَابْنَا
رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ ﷺ ، أَخَذَ يَدْعُو رَبَّهُ
قَائِلًا :



« اللَّهُمَّ أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ

حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ .. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكَلَّمَنِي ؟
إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ
يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي ، وَلَكِنْ عَافِيَتِكَ هِيَ
أَوْسَعُ .. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ،
وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ،
أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ .. لَكَ الْعُتْبَى (الرِّضَا) حَتَّى
تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » ..

فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَكَانَ لهُمَا
خَادِمٌ نَصْرَانِيٌّ يُدْعَى عَدَّاسُ ، فَقَالَا لَهُ :

خُذْ عُنُقُودًا مِنَ الْعِنَبِ ، فَضَعْنَاهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ،
وَإِذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْجَالِسِ هُنَاكَ ، فَقُلْ لَهُ
يَأْكُلُ مِنْهُ ..

فَحَمَلَ عَدَّاسُ الطَّبَقَ وَبِهِ الْعِنَبُ ، وَذَهَبَ إِلَى

رسول الله ﷺ ثم قال له :

- كُلْ ..

فقال رسول الله ﷺ :

- « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ..

ثم بدأ يأكل ..

فنظر عدَّاسٌ في وجه رسول الله ﷺ ، وقال :

- والله ، إنَّ هذا الكلامَ ما يقولُهُ أهلُ هذه البلادِ ..

فقال له رسول الله ﷺ :

- « ومنَ أهلِ أيِّ البلادِ أنتَ يا عدَّاسُ ؟ وما دينُكَ ؟ » .

فقال عدَّاسُ :

- نصرانيٌّ منَ أهلِ نينوى ..

فقال رسول الله ﷺ :

- « منَ قريةِ الرجلِ الصَّالحِ يُونسَ بنِ متى ؟ » .

فقال عدَّاسُ :

- وما يدريكَ بيونسَ بنِ متى ؟

فقال رسول الله ﷺ :

- « ذاك أخى ، كان نبياً ، وأنا نبي » ..

فمال عداس على رسول الله ﷺ ، وأخذ يقبل رأسه
ويديه وقدميه ..

فلما رأى ابنا ربعة ذلك ، قال أحدهما لصاحبه :

- لقد أفسد محمدٌ عليك غلامك ..

فلما رجع إليهما عداس قالاه :

- لماذا تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه ؟ !

فقال عداس :

- ما فى الأرض أحدٌ خيرٌ من هذا الرجل .. لقد

أخبرنى بأمرٍ ما يعلمه إلا نبي ..

فقالاه :

- لا يصرفنك هذا الرجل عن دينك ؛ فإن دينك

خير من دينه ..

وانصرف رسول الله ﷺ ، في طريقه إلى مكة ، فأرسل
الله (تعالى) إليه ملك الجبال ، فقال له :
- إن الله (تعالى) قد أرسلني إليك فإن أمرتني أن أطبق
عليهم الأخشبين (وهما جبلان بمكة) فعلت ..
فرفض رسول الله ﷺ أن يوقع الأذى بأهل مكة ، وقال
لملك الجبال :



- « لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ ،
وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » ..

ثم دعا بقوله :

- « اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » ..

وفي طريقه إلى مكة نزل رسول الله ﷺ بنخلة ،
وقام بالليل يصلي ، فصرف الله (تعالى) إليه نفرا
من الجن يستمعون إليه ، وهو يقرأ القرآن ، فأمنوا به ،
ولم يشعروا رسول الله ﷺ حتى نزل عليه الوحي
بالقرآن ، فأخبره الله (تعالى) بذلك ..

وأقام ﷺ بتلك النخلة عدة أيام ، فلما أراد الرحيل
إلى مكة ، قال له زيد بن حارثة :

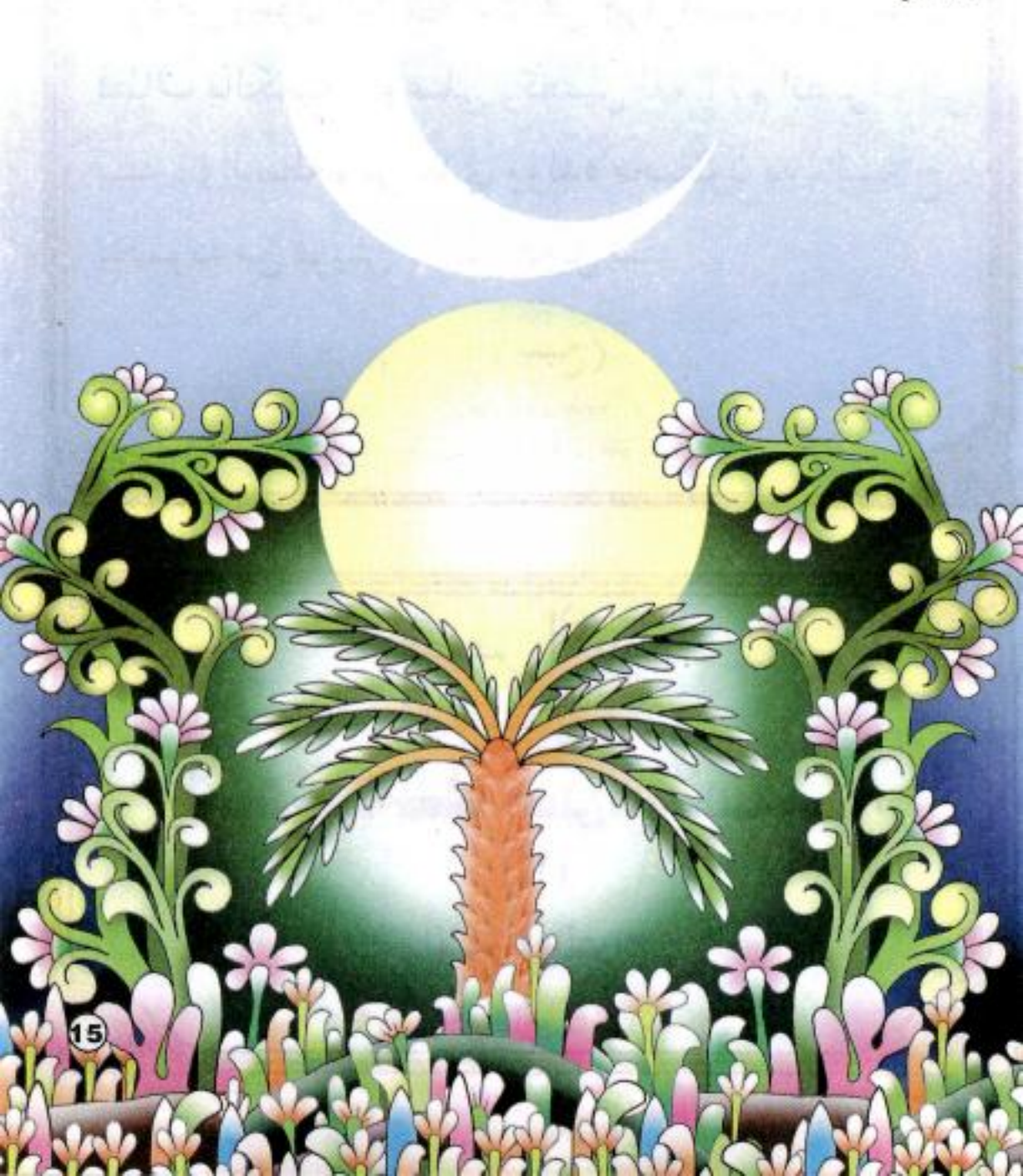
- كيف تدخل على قريش مكة وقد آذوك وأخرجوك ؟ !

فقال ﷺ :

- « يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ،

وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه » ..

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى مشارف مكة ، أرسل رجلاً
من خزاعة إلى المطعم بن عدي ، طالباً منه أن يدخل في
جواره ، فأرسل إليه المطعم بن عدي أنه وافق على أن
يجيره ..



ثم دعا الْمُطْعَمُ بَنِيهِ وَقَوْمَهُ ، وَقَالَ لَهُمْ :

- الْبَسُوا السِّلَاحَ ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ ؛

لِحِمَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ ..

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدَى ،

فَطَافَ بِالْكَعْبَةِ ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى

بَيْتِهِ ، وَالْمُطْعَمُ بْنُ عَدَى وَوَلَدُهُ مُحِيطُونَ بِهِ بِالسِّلَاحِ ،

يَحْمُونَهُ مِنْ قَرِيشٍ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ..

(يَتَبَعُ)

رقم الإيداع : ٢٠٠٣ / ٧٣٠٤٠

التسجيل الدولي : ١ - ٨٩٧ - ٢٩٦ - ٩٧٧

فَصَرُ الْأَنْبِيَاءِ

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٦)

الإسراء والمعراج

● احرص على اقتنائه ●